



نصوص

أصواء

فنون

قصة قصيرة لؤيد جواد الظلال ونص ثوري لحسين الجاف ونص مفتوح عنوانه جرح على المقاس

نقش في السديم للمشاعرة حمدة خميس وعبد الكريم حسن مراد يقرأ نقدياً رواية إرفعوا صوت التفاز لعلي الحديثي

في كربلاء مؤسسة السراج توعى تجربة رائعة لتجسيد مسرح المكثوف لؤي زهرة تاليفاً وعباس شهاب إخراجاً والموت يغيب الشاعر جوزيف الهاشم زغلول الدامور في رسالة بيروت الثقافية

رواية الظلال الطويلة لأمجد توفيق

ما الذي فعلته الدكتاتورية مع المهمشين والأمل المعاق؟



حميد الحريزي

التجف

(في كل كتاب يجب ان تكون تعويذة يعرفها المؤلف ويحزرها القارئ ولكنها مخفية تحت الملابس) رسول حمزاتوف- رواية بلدي -ص42.

انكتشف ما اخفي تحت ملابس رواية ((الظلال الطويلة)) للروائي امجد توفيق

العنوان والدلالة :- لكي يكون هناك ظل لابد ان يكون هناك ضوء ، وجسم مسلط عليه الضوء ، وكلما كان الجسم طويلاً وكبيراً ، وكانت الانارة مركزة كلما كانت ظلاله طويلة وممتدة لمسافة طول ...

هنا يدل عنوان الرواية ((الظلال الطويلة)) على طول فترة الحكم الدكتاتوري في حكم العراق ،

والتي مدى قسوته وجبروته التي فاقت الخيال ، وتجاوزت الحدود ، حينما يلقي عليها الضوء من قبل عقل وفكر ناقد مطلع على جزئيات اعمالها القمعية

وأساليبها الجهنمية في التعذيب والمقتل ، وفكر ناقد مطلع على به معارض للنظام الحاكم آنذاك ، وامتداداته على الواقع الحاضر ،

سواء في سلوكيات المسئول او المواطن العراقي العادي ، نرى ان الكاتب كان موفقاً وعميقاً في اختيار العنوان ودلالته ، عبر اشارته لما قبل وما بعد احتلال العراق وعلاقة احداث المابعد

بالمابعد ...

المهمشون ودورهم في التحولات السياسية في العراق

المهمشون هم الفئة الاجتماعية التي تعيش على هامش الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية في بلدانها ، والتي ليس لها دخل معروف او ثابت او مجدود ولا تلتزم الدولة تجاههم بانية ضمانات سواء الصحية او

المعيشية او التعليمية ولا تعترف بشخصية معنوية لهم ، وغالبا ما يتواجدون عند اطراف المدن الكبرى وما حولها ، يسكنون بيوت ((التنك)) او الصراف من القصب والبردي او من الطين ، وغالبا ما تكون هذه التجمعات حواض مناسبة للخرافة والافكار

الغيبية ، ومستودع لا ينضب للغناسر

خط الحيوان))

اما في العراق فتشعر الاحصائيات ان عدد المهمشين الذين يعيشون في العشوائيات يزيد على 13 بالمائة من سكان العراق يعيشون في 37000 قطعة عشوائية ،

حصنة بغداد منها اكثر من 1000 وحدة يعيشون في اكثر من 522 ألف وحدة سكنية

متناثرة في مختلف المحافظات والعراقية ولا تتوفر فيها ابسط المستلزمات الحياتية

الانسانية ،

وقد زاد الامر بلة تحويل

المتمردة سواء كان تمردها ايجابية وهي المنخرطة في المنظمات ذات الفكر الثوري الفكري المطالب بالحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية واغلبها من المنظمات ذات الافكار اليسارية

بمختلف عناوينها ، بالإضافة الى فئة اخرى تنغمس في الفكر الغيبي الديني الاتكالي الراكن للقرنية والحلم بملخص مجهول

لا بد ان يظهر يوما لخلصهم ، او من ينحني للمنظمات الدينية

الراдикаلية الجهادية تحت مختلف اللافتات المغلفة بغلاف ديني ،

بيشر المجاهدين بجناح وحور عين فيندفعون نحو الجحيم

جارفين معهم العشرات والمئات من الارباء ، وهناك فئة اخرى تسلك طريق الجريمة وتحترف السرقة

واللصوصية والتعلية والقرنة والبهلوانية بمختلف اشكالها

وتمظهراتها الخفية وغير الخفية بمختلف مستوياتها ... طبعاً يرتبط موضوع سبعة هذه

الشريحة او انحسارها يتبع مدى تطور الحقل الاقتصادي

الانتاجي المتطور وإمكانياته في احتواء ان لم نقل كل القوى

المنتجة فاعليها ، في حين تتكاثر بسيرة مذهلة زاحفة على المدن

وما حولها في حال الواقع الاقتصادي الراكد والمتخلف

وهيمنة الاستهلاك على الانتاج ، وهو الحال الواقع الان في اغلب البلدان العربية ومنها العراق ...

ونظراً لسعة فحة المهمشين وترزايد عددهم في الوطن العربي

ودورهم في الاحداث في الماضي والحاضر فقد كان لهم نصيب كبير في الابد الروائي العربي سواء في مصر او السودان او اليمن او

المغرب العربي وغيره من الدول المتخلفين في ساحات الموت

والقتل الجماعي ...

((يعيش أغلب هؤلاء بلا وطن ، ولا تاريخ ، ولا حتى هوية))

من خلال ماسبق نريد ان نصل الى صاوتقة الروائي امجد توفيق في

روايته ((الظلال الطويلة)) وهي احداث مريرة وقاسية وطويلة

بالفعل غاشها الشعب العراقي بكافة فئاته وشرائحه ومنها شريحة ((المهمشين))

اسلوب السرد وضبط حبكة الروي ودلالة الحدث

في عشوائيات بغداد حيث تعيش ((انتصار)) مع شقيقها ((الديوث)) الذي يضطرها الى ممارسة الجنس مع من يدفع المال

لينيقل على ملذاته وتوفيق اسباب العيش له ولها حيث يعيشون الفقر المدقع ، وفرض بكارتها ومن ثم حملها من قبل احد زبائنه

الانرياء ومن ثم هجرها من دون اي شفقة او رحمة ... لتكون سلعة تتخلف بين احضان الرجال من مختلف المشارب والفئات

الاجتماعية . فتقرر هذه البغي المهشمة ان تمتلك مفتاح القوة

والجاءه الا وهو ((المال)) مصدر عز وهيبة الالاء ومذل الاشراف

الانقياء ، فتستغل قوضى بغداد بعد دخول قوات الاحتلال الى بغداد ، فتسخر احد صبايانها

لسرقة اكباس من العملة الصعبة من احد مصارف الدولة وبذلك

تمكنت من التحول من ((انتصار)) العاهرة البغي المذلة المهانة الى

مذلة الرجال ومروضة قوى الاحتلال . فتنتقل هي وزمرتها من

حالة اليأس والحرمان في زمن ((الدكتاتورية)) الى حياة

عهد ((الدم قراطية)) . كانت زمره او عصاية ((انتصار)) مكونة من

ادبان وقوميات وطوائف مختلفة ،

اشارة من المؤلف بان النهييش كان من نصيب الجميع في العراق

سواء في عهد الملكية او الجمهوريات المختلفة ، وقد ازداد

تفاقماً واتساعاً في عهد البعث حيث كانت تعيش

((انتصار)) وجاسم الرئيس ، وعباس الحريه ، وزير الارمني ، واسمر ياقو ، وجبار الاسود ليعيشوا ، وهامل

في ((بلد اشد الاحلام طموحاً ، واشد الكوابيس رعباً))ص52 فال مؤلف الفنان له قبل وبعد ، حيث يصف لنا حال الوطن والمواطن في عهد الدكتاتور الفرد الذي يفرض ميمته بقوة النار والحديد بقوة

المخابرات والامن والاستخبارات ، والخد وحياكة دسائس الايقاع

برفاقه وبكل من لا يرضخ لإرادته وتصفيته ، عدم سماع الرأي الاخر

والمخالف والمخلف حتى داخل حزبه ومن ثم عشيرته ومن ثم عائلته ،

تخطيط او ترتيب وخصوصاً بعد تدهور الزراعة في العراق

واضطرابه الى استيراد الطماطة والبصل والتمر ... الخ من الخارج

لقد اطلقت السلطات العربية مختلف الاوصاف والتسميات على هؤلاء الناس منها الحرافيش او

البدون او الغوغاء او الاخدام ... الخ

وقد سبق تسميتهم بالصعاليك او الشطار والعبارين ((كان للضلال

الذي ادته الفئات والطوائف المشته داخل المجتمعات العربية دور كبير

في تحقيق الحراك السياسي والاجتماعي الاصلاح في مجتمعاتنا ، والذي انتهى باذلال

ثورات الربيع العربي ، التي قادتها شراخ مهشمة بالاساس ، مثل

الشباب والعمال)) ص 194 هويدا صالح -الهامش الاجتماعي هذا

الربيع الذي افتتحه اهل العراق في انتفاضتهم الكبيرة في اذار 1991

وقد ركبتها موجة الاسلام السياسي حفرقتها عن طريقها

كثورة شعبية افسدتها رداء الطائفية ، مما جعل المركز يعجل

بقمعها بالتعاون مع قوى التحالف الدولي وطلول النظام

المهزوم ، وقد ساق الالاف من المنتفضين في ساحات الموت

والقتل الجماعي ...

((يعيش أغلب هؤلاء بلا وطن ، ولا تاريخ ، ولا حتى هوية))

من خلال ماسبق نريد ان نصل الى صاوتقة الروائي امجد توفيق في

روايته ((الظلال الطويلة)) وهي احداث مريرة وقاسية وطويلة

بالفعل غاشها الشعب العراقي بكافة فئاته وشرائحه ومنها شريحة ((المهمشين))

اسلوب السرد وضبط حبكة الروي ودلالة الحدث

في عشوائيات بغداد حيث تعيش ((انتصار)) مع شقيقها ((الديوث)) الذي يضطرها الى ممارسة الجنس مع من يدفع المال

لينيقل على ملذاته وتوفيق اسباب العيش له ولها حيث يعيشون الفقر المدقع ، وفرض بكارتها ومن ثم حملها من قبل احد زبائنه

الانرياء ومن ثم هجرها من دون اي شفقة او رحمة ... لتكون سلعة تتخلف بين احضان الرجال من مختلف المشارب والفئات

الاجتماعية . فتقرر هذه البغي المهشمة ان تمتلك مفتاح القوة

والجاءه الا وهو ((المال)) مصدر عز وهيبة الالاء ومذل الاشراف

الانقياء ، فتستغل قوضى بغداد بعد دخول قوات الاحتلال الى بغداد ، فتسخر احد صبايانها

لسرقة اكباس من العملة الصعبة من احد مصارف الدولة وبذلك

تمكنت من التحول من ((انتصار)) العاهرة البغي المذلة المهانة الى

مذلة الرجال ومروضة قوى الاحتلال . فتنتقل هي وزمرتها من

حالة اليأس والحرمان في زمن ((الدكتاتورية)) الى حياة

عهد ((الدم قراطية)) . كانت زمره او عصاية ((انتصار)) مكونة من

ادبان وقوميات وطوائف مختلفة ،

اشارة من المؤلف بان النهييش كان من نصيب الجميع في العراق

سواء في عهد الملكية او الجمهوريات المختلفة ، وقد ازداد

تفاقماً واتساعاً في عهد البعث حيث كانت تعيش

((انتصار)) وجاسم الرئيس ، وعباس الحريه ، وزير الارمني ، واسمر ياقو ، وجبار الاسود ليعيشوا ، وهامل

لهم مقابل خدمتهم وقد صدق توصيف الكاتب القائل ((لا عذاري في المواعير)) ، ففي مثل هذا الواقع البائس تتسيدة العواهر والديوث والمرابي والعمل واللمس والمحتل والدكتاتور لا يمكن ان نرى الحر والشريف والوطني الصادق والمدني المخلص إلا في المنافي او

السجون او على اعواد المشانق او في دور الجانين . وما في شخصية

المجنون ((مساجد)) في رواية (فسحة من الجنون)) لسعد محمد

رحيم مثالا لما نقول . يؤشر لنا الكاتب هنا مدى هشاشة المجتمعات

العربية وسهولة اختراقها من قبل قوى الخارج الطامع في ثرواتها

والمتعطش لاستعبادها واخضاعها لسلطوته وقد وصفها امبراطور

العصر ((ترامب)) بالتحاللات ... ان احد اسباب هذه الهشاشة هي

الانظمة والاحزاب الدكتاتورية التي سامة مواطنها كل صنوف القهر

والعذاب والافكار مما خلق كم هائل من المهمشين والشواد الذين

يتربصون ويحتنون الفرص للانقضاض على كل مايمت بالصلة

لهذه السلطات الاستبدادية والعمل على نهبه او حرقة واتلافه

انتقاما من معاناتها وثارا لكرامتها المهذورة وعذريتها المتغصبة

ويرجولتها الخصصية بقوة المال وقهر السلطة الفاشية ، ومن

يستدكر ما حدث خلال انتفاضة اذار 1991 في العراق من حرق

وسلب وقوضى وخراب لكل مؤسسات الدولة والبنية التحتية

للزراعة والصناعة في المحافظات المنفضة يؤيد ما ذهبنا اليه وما

قاله الروائي .

((المهمنون ثوربون بالضرورة لكن حركاتهم الاجتماعية لم تصل لحد

الثورات المنظمة التي يمكن لها ان تترجم المركز وتحل محله ، فقد

اكتفت الاحتجاج غير المنظم لكن المركز استطاع ان يقضي على

ثورتها ، ويعيدها ثائبة للهامش))

دهويدا صالح -الهامش الاجتماعي في الابد ص- 195 الروائي يؤشر

عدم وجود قوة فاعلة قادرة على مقاومة كل هذا التزدي المرعب للقم

اغليته وقهرهم ، لذلك يبدو من الصعوبة بمكان التفريق بين

مقاومة المحتل وعصايات تالصوص والنهابين والقتلة بقبادة انتصار

وزمرتها ، وكذلك عدم اغفال حقيقة الابد من الاشارة اليها وان لم يتطرق

السبها المؤلف الا وهي :- ان الاستعمار الامريكي الاحتلالي

تميز عن سواء وما سبقه في عمله على تصنيع وجلب معارضيه معه

لتكون تحت السيطرة ولخطف خبار المقاومة من الوطني العراق

وذلك لصعوبة التمييز بين الخطيب الابيض او المقاوم الوطوني

الصضاد وبين الخطيب الاسود ،وعجز وفساد السلطة الحاكمة ،

اختطف الامل ولم يطلق سراخه إلا وهو معوق مجروح ومبعد الى

بلاد المنفى الاجباري وتحت حماية ورعاية خاطفيه الامريكان

ومخابراتهم .. يظهر هذا البشائر البرجوازي الصغير الثوري الذي

الهزيل كشخصية مهزوزة متخالفة منكسرة اسم قوى الاحتلال

الاجنبي الراسمالي قوى العهر الوطني بقيادة ((انتصار)) حيث

ترفع انتصار خاتون راية النصر من على دار وطن بشار لتضمم

الى نفوذها لتكون وكرا لعصاباتها من المهمشين بالتخادم

مع قسوى الاحتلال وهزيمة مرتزقة ممثلين ب((ابي صهيبي))

الجشع المكروش حيث تمكنت من الاستيلاء على ثروته وكسرت

كبريائه الزائف المبني على خدمة محتلتي وطنه ونهايي ثروة بلده

ورمائه ليس شعبه فقط وإنما حتى افراد حمايته وجانبيته مما

دفعهم للانتقام والتخلي عنه ونقل اخباره واسراره الى ((انتصار

خاتون)) التي اظهرت لهم كراما حاتميا من على موائد الشرب

والطعام ، وإشباع غريزة الجسد الاستبدادية ضد شعوبها ودورها

لا تكون ليست عميلة فقط للاجنبي لا بل وصلها الامر لتكون مجنونة في سبيل خدمة اهدافه الاستعمارية سواء بوعي منها او بدون وعي ...

وقد اتبعت الوقائع التاريخية واستغبت مستقبلا ان هذه القوى

انما هي صنعة الامبريالية العالمية وبالخصوص الامريكية لتكون

الجنس والمهمهد لقوى الاحتلال والاستغلال ويمكنها من فرض

سيطرتها على الشعوب المذخنة من قبل حكامها مسبقا ، ومنها الشعب

العراقي ولم تكن ناجسة من خطوات وقرارات عشوائية غير

مدروسة لابل كانت نتجة عمل جاد ومضني وطويل النفس لكل اساطين

علماء النفس والاجتماع والاقتصاد والسلاح والتخطيط العسكري

لرسم خطط مآكرة متقنة طويلة المدى للوصول الى اهدافها

المرسومة ، وقد تمكنت من تحقيق ذلك بما يفوق تصوراتها وتوقعاتها

((سقوط عصر البطولة وبدا عصر الخيانة)) ص114 .

كشف المستور

بحجر الروائي اسرا القارئ عبر ((11)) فصلا ومدخل ، كراوي عليم

، يكشف لنا المستر ولبولن لنا ، الظاهر من احداث جسام مر بها

العراقي خلال محنته الكبرى مع الدكتاتورية وحكم الحزب

القوماني الذي اجاد الخوغائية والصراخ الزائف ، ولكنه فشل في

العمل ، جهر بالاشتراكية وفاق الاشتراكيين طرفا وغلواء ولم

ينتج سوى هيكل فارغة كانها عجل السامري ، لأحياة فيها ولكنها

تغري الناظرين ... وكأدى بالقومية والوحدة العربية ولكنه القومية

والوحدة لم تحصده سوى المزيد من الخيبة والشزيمة والتشتت ، تحدث

حول الوفاء فقصم الغدر والخيانة ، تحدث بالحكمة ولكنه كان الارعن

والأهوج الاكبر ، تحدث عن الرحمة والتكافل وحقوق المواطن ، في حين

ارتكب افضح الجرائم بحق اقرب مقربيه ... كان الكاتب غزير المعلومة

بلينج العبارة ، شيق الكلمة وهو يتنقل من ((بشار)) المتحن في مبدئيته ووطنيته ، الى ((انتصار))

التي استطاعت ان تثار لعذريتها المتغصبة ، وكرامتها المهذورة ...

كشف قناع قوى الاحتلال الامريكي حيث وجهها البشع وقساوتها وبربريتها التي تفوق الحدود ، من

خلال العديد من صور التحقيق والتعذيب والتجوع في سجونها

من خلال صورة رجل بسيط معتقل وتعلق اطفاله به دون جدوى

((شهادة تصفع اقسى القلوب ، وتصفع ذوي العيون الوقة بان كل

مايمت الى المشاعر الراقصة او رعبه البرينة محض وهم ، ومحض وسيلة

دعائية راقت قساة البشر منذ اول عدوان نفذ على وجه الارض والى

هذا اليوم ...)) ص113 .

يسجل الروائي حورا مفتوحا بين الفضيلة والريالة ، بين العفة

والشرف وبين العهر والخيانة ، بين ادعاء التحضر وضحاياهم ...

وبذلك تمكن الروائي من ((بخنة)) شخصياته الروائية ، ولكنه لم

يؤثث هذه الشخصيات ليكون لها مرتسم في خيال القارئ من حيث

الشكل والملبس وحركات الجسم والعلامات الفارقة بين شخصية

اخرى ، فكانت عبارة عن اسماء وسلوك ولكن الصورة باهتة وغير

واضحة الالوان والتقاسيم ... والكشف عن حقيقة ((الحزر))

وتخاذه مع العناصر الفاسدة ، ورموز الجريمة والعهر ، من خلال

عملية القاء القبض المحكمة على ((بشار) ، وانتصار ، والمجندة

الامريكية جاكلين)) في دار انتصار ، او تعنى بالفقراء والمهمشين الذين

يقفون على هامش المن في ذلك ، ليس رغبة منهن في اذلال

اخصاهم من مركزية المتن سراج الخاتون مقابل اطلاق

سراجها ، وهذا تظهر امكانية المقاومة وإمكانية ابن البلد في قهر

اعنى قوة في العالم ان هو امتلك

الارادة والقيادة والتصميم والهدف الواضح ... تعقد علاقة صداقة وتخادم بين ((انتصار العهر)) وبين الامريكان ، يطلق سراج ((بشار))

بطلب من الخاتون... تعاد ((امل)) المعاقبة الجريحة الي ذويها ، مع

اشادة بصمودها وشجاعتها اثناء عملية الخطاف واطلاق النار

عليها من قبل الامريكان ، والاعتذار الذي قدمه لها ((جوجون ريد)) وهو

اسم مسمى مؤلف رواية ((عشرة روسيا 1917 . ولا شك ان المؤلف لم

يكن جاهلا لهذا الاسم بل هي اشارت مبطة الى دلالة مختزنة في

مخيل وذاكرة المؤلف ، هل تعني ان لا احد يعرف الاعتذار او يقدر قيمة

الخطوة ويتعاطف معها الا ((جون ريد)) وامثاله ، او هو يريد ان يقول

ان حتى ادعاء الثقافة واليسارية والتحرر من الامريكان ساهموا في

هذه الحرب القذرة واحتلال العراق !!!!!! (قادته انتصار الة امل ...

صافسها واخبرها ان اسمه جون ريد وانه معجب بقدرتها وصمودها

، وطلب من احد المرافقين جلب هديتها من السيارة ..)) ص288 .

مقارنة بين مايتعجب به انسانة والحيوان في العالم الاول مثالا

فرنسا ، وبين هدر كرامة وحقوق الانسان في العالم العربي ومثاله

العراق ، عبر عرض واقعة انقاذ حياة قطة عالقة على غصن شجرة

في فرنسا ... تمام حفلة رقص وصخب وتسمر وشرب في دار

الخاتون ، يطلع ((بشار)) الى بعض اسرار الخاتون ولعاقبتها بالامريكان

وقعد علاقة الصداقة والتضامن بينهما ، تشتري داره المجاورة لدار

الخاتون ... وقد قرر بشار هو وزوجته ((نسرين)) وابنته امل

العودة ثائبة الى باريس بعد سبعة اشهر عاصفة في في بلده العراق

راكعا اما عدوه القاها ... قال رسول حمزاتوف:-

((يمكن للرجل ان يركع في حالتهن :- ليسرب من العين ، وليكطف

زهرة)) رواية بلدي رسول حمزاتوف ص 21 .

ولكن ((بشار)) خسر رجولته لانه عب من ماء مستنقع الرذيلة

والخيانة ، وقطف وسام الخنوع ... نعم

((عاد بشار الى باريس جطات في القلب ..

نذبات في الروح .. عذابات في الاحلام ..

عادت لسرين .. حماس مقتول ..

رؤية مضبية .. وبحث عن سلام ..

عادت امل كسر في النزاع

كسر في الساق